العدد (4115) السنة الخامسة عشرة - السبت (20) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

الرواية النسوية العربية في العراق ١٩٥٠-٢٠١٧

من الحضور إلى الظاهرة

د. نجم عبدالله كاظم

سميرة المانع

عالية ممدوح

لطفية الدليمي

ابتسام عبدالله

(١)

بداية يجب أن نشير إلى أن هذه الدراسة معدّلة عن دراسة سبق لنا نشرها في مجلة (الأديب العراقي) عام ٢٠١٥، في ظل اكتشافنا لنصوص ومعلومات جديدة ومؤثرة في صورة واقع الرواية النسوية في العراق. إضافةً إلى ذلك، ما زلت، ومع كل ما تحققه الرواية العراقية، وضمن ذلك الرواية النسوية، محلّياً وعربياً، من إنجازات وتميز، نسمع من يشكك بها، بل يقدم عنها ما لا يتوافق مع ما تحققه كماً ونوعاً. إن مثل هكذا ناقد أو صحفي ينطلق، برأيي من عدائية غريبة لهذه الرواية، ومن جهل بها، ألم يقولوا (الإنسان عدو ما يجهل)؟ فبعد كل الفوضى والتعجل وكلام البعض في ما لا يعرف، وكلام آخر في ما لا معلومات دقيقة عنه، وبعد صدور كتابنا (فهرست الرواية العراقية ١٩١٩-٢٠١٤) ونشري وغيري لمجموعة غير قليلة من الدراسات والمقالات التي تقدم معلومات، وليست آراء، على شيء من الدقة عن هذه الرواية، وضمنها النسوية، يظهر أحد النقاد مؤخراً على شاشة التلفزيون ليقول بثقة توحي للمتلقي بأن ما يقوله دقيق، إن ما صدر قبل ٢٠٠٣ (١٠٠) رواية وما بعدها (٦٠٠)، بينما الرقمان الصحيحان هما ما يقارب الـ(٧٠٠) رواية قبل ٢٠٠٣، وأكثر من (١٠٠٠) رواية بعدها، ويقول ناقد آخر وبقطع وثقة يُحسد عليها "ليس هناك رواية نسوية في العراق". وهكذا، إذن تأتي هذه المقالة الطويلة، مبرَّرةً بواقع ما نراه من فوضى واستسهال القول وأحياناً الجهل بما يتكلم به بعض المتكلمين.

لعل واحدة من ظواهر الكتابة العراقية بشكل عام، والروائية منها بشكل خاص، وتحديداً في العقود الثلاثة الأخيرة، ظاهرة الكتابة النسوية، نعني كتابة المرأة للرواية. فإذا ما بدأت بوادر هذه الظاهرة منتصف الثمانينيات وصارت واضحة نوعاً ما منتصف التسعينيات، فإنها تخطّت حدود أن تكون عادية نهاية التسعينيات وفي الألفية الثالثة. وهنا يجب أن نوضح حقيقتين تفرضان نفسيهما علينا ونحن نكتب ما يشبه استقراءً لفهرست الرواية النسوية العراقية الذي ألحقناه بكتابنا "فهرست الرواية العراقية ١٩١٩-٢٠١٤"[١] وأتممناه لدينا إلى الوقت الحاضر. قد تبدو هاتان الحقيقتان متناقضتين، ولكن ما هما، في الحقيقة، كذلك. أولاهما هي أننا حين نقول ظاهرة فإنما نعني أن حضور المرأة العراقية كاتبةً في الكتابة الروائية هو اقتحام قوي يفرض نفسه على الناقد والمؤرخ الأدبي، وربما حتى الدارس الاجتماعي والثقافي ودارس الجندر، وقبل ذلك على واقع الكتابة الروائية عموماً في العراق. الحقيقة الثانية هي أن القول بهذه الظاهرة لا يعني أن المرأة لم تكن حاضرة من قبل في هذا المجال، بل هي حاضرة ومن عقود عديدة، ولكنه حضور مرّ، من حيث عدد المنشور والنوعية والنضج والقوة والفاعلية، بما يشبه المراحل، كما سنتعرض له هنا مدعوماً بالفهرست المعني.

(٢)

قد تكون المحاولة النسوية الأولى لكتابة رواية أو، بشكل أدق، قصة طويلة، هي (ليلة الحياة) لحورية هاشم نوري، التي نشرتها عام ١٩٥٠ باسم مستعار هو (فتاة بغداد ح. ه. ح)، وضمن مجموعة ضمت، إضافة إليها، قصتين قصيرتين[٢]. وإذ لا يحقق هذا العمل على المستوى الفني الكثير، فإنه يبقى يمتلك فضل المحاولة، مع أننا لا يمكن النظر إليه تجنيسياً إلا بوصفه قصة طويلة، إذ هو يقع في أثنى عشر ألف كلمة تقريباً. ومن منطلق نقدي يجمع ما بين الصرامة من جهة والمرونة من جهة أخرى، نزعم أن هذه القصة الطويلة إنْ كان هناك ما يجمعها مع الرواية، فإنه طولها والقليل من مقومات الرواية مقارنة بغالبية القصص الطويلة العراقية الأخرى. المحاولة النسوية التالية لكتابة رواية، أو بشكل أدق قصة طويلة، هي (بريد القدر)- ١٩٥١- للكاتبة نفسها، وهي بطولها المحدود- في عشرة آلاف كلمة تقريباً- لا تنتمي هي الأخرى إلى الفن الروائي بل تقترب منه عبر هامش ضيق. ونحن حين نذكرها هنا فللأمانة العلمية أولاً، وللتثبيت التاريخي ثانياً، ولتعزيزها للمكانة التأريخية لكاتبتها بعد عملها الأول.

إلى جانب هذين العملين، ظهرت، خلال تلك السنوات والسنوات التالية، محاولات قصصية طويلة أخرى لعل غالبيتها تندرج، إلى حدّ كبير، تحت توصيفاتنا السابقة لعملَيْ حورية هاشم نوري، إذ هي تفتقد جل المقومات الفنية المختلفة للفن الروائي. وحتى الطول، الذي هو غالباً ما يجذبنا إليها، فإنه لا يكاد يتحقق إلا جزئياً. هذه الأعمال، التي صدرت بين محاولة حورية هاشم نوري "ليلة الحياة" عام ١٩٥٠ ورواية قصيرة لسميرة المانع هي "السابقون واللاحقون" نشرتها عام ١٩٧٢ وسنأتي عليها في فقرة قادمة، هي سبع أو ثماني محاولات. والأهم هنا أننا لا نجد ما تستحق الإشارة إليها منها إلا "بريد القدر"- ١٩٥١- كونها لحورية هاشم نوري نفسها، و"من الجاني"- ١٩٥٤- لحربية محمد التي هي في قصرها واضطرابها تبتعد عن أن تدخل في الريادة، و"نادية"- ١٩٥٧- لليلى عبد القادر، التي هي أكثرها اقتراباً من تحقيق شيء فني في مسار الكتابة الروائية العراقية بشكل عام، والكتابة الروائية النسوية منها بشكل خاص، وهي على أية حال في ما يُفترض أنه جزء أول لم يصدر له جزءٌ ثان. فهذا العمل يقترب بالتأكيد من الرواية مقارنةً مع جميع المحاولات الروائية والقصصية الطويلة التي صدرت قبله والعديد مما صدر بعده بسنوات. هذا الأمر شجع بعض الدارسين للتعبير عن بعض الحماسة لها، وعلى رأس هؤلاء الدكتور عبد الإله أحمد الذي قال فيها: "هي تبدو للقارئ، منذ الوهلة الأولى التي يأخذ بقراءتها، عملاً روائياً حقاً بُني على هذا النهج (التقليدي) الذي بُنيت عليه روايات القرن التاسع عشر في أوربا"[٣]، مع أننا لا نتفق إلا جزئياً مع أستاذنا الراحل الكبير في رأيه هذا.

(٣)

انتقالاً إلى "السابقون واللاحقون"[٤] لسميرة المانع التي سبق ذكرها، نعتقد أنها تجاوزت فنياً جميع المحاولات الروائية النسوية العراقية السابقة، كما أن ما اكتسبته أو حققته روائياً، ومع كل ما افتقدته في هذا، يبرّر التعامل معها على أنها رواية، قصيرة إن شئنا، ويتيح لنا أن نعدّها أول عمل روائي فني تكتبه امرأة عراقية. ولكن ليس صحيحاً، برأينا، ما ذهب إليه سيار الجميل، الذي يبدو واضحاً أنه غريب نقدياً عن الرواية العراقية، وأكثر من ذلك العربية، من أن "سميرة من أبرز الروائيات العربيات وهي أول من كتب الرواية الفنية العراقية منذ اكثر من ثلاثين سنة".[٥] فإن الخروج من دائرة الرواية النسوية إلى الكتابة الروائية عموما في العراق، كما فعل الجميل وهو يحكم على الرواية، يحيلنا بالتأكيد إلى ما نستغرب جهل الكاتب بها من أعمال روائية سبقت المانع بسنوات وأهمها، إذا تجاوزنا بعض أعمال محمود أحمد السيد وذي وعبد الحق فاضل وذي النون أيوب: "الاخطبوط"- ١٩٥٩- لأنيس زكي حسن، و"الوجه الآخر"- ١٩٦٠- لفؤاد التكرلي، و"السجين"- ١٩٦١- لأنيس زكي حسن، و"الأيام المضيئة"- ١٩٦١- لشاكر جابر، و"الزقاق المسدود"- ١٩٦٥- و"كما يموت الآخرون"- ١٩٦٥- وكلاهما لياسين حسين، والأهم من هذه كلها تلك التي صارت معرفتها من بديهيات معلومات ناقد الرواية العراقية ودارسها وهي: روايتا فرمان "النخلة والجيران"- ١٩٦٦- التي تُعد باتفاق النقاد والدارسين أول رواية عراقية متكاملة فنياً، و"خمسة أصوات"- ١٩٦٧، ورواية عبد الرزاق المطلبي "الظامئون"- ١٩٦٧. وقد تلت هذه الأعمال الثلاثة، ونحن نتكلم عن الرواية العراقية عموماً لا الرواية النسوية، أعمال أخرى فنية صدرت قبل رواية المانع، أهمها: "كانت السماء زرقاء"- ١٩٧٠- لإسماعيل فهد إسماعيل، و"اللعبة"- ١٩٧٠- ليوسف الصائغ، و"ليس ثمة أمل لكلكامش"- ١٩٧١- لخضير عبد الأمير، و"الأشجار والريح"- ١٩٧١- لعبد الرزاق المطلبي، و"شقة في شارع أبي النواس"- ١٩٧٢- لبرهان الخطيب، و"الوشم"- ١٩٧٢- لعبد الرحمن مجيد الربيعي، و"القلعة الخامسة"- ١٩٧٢- لفاضل العزاوي. وعلى أية حال، وفي العودة إلى الرواية النسوية، كان يمكن أن يصحّ كلام الدكتور سيار الجميل على رواية سميرة المانع، لو أنه حصر كلامه بالرواية النسوية فقط، وهو ما نفعله هنا، كما سنوضح في مقال قادم.

---

١. د. نجم عبدالله كاظم: فهرست الرواية العراقية ١٩١٩-٢٠١٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٥.
٢. فتاة بغداد ح. ه. ن (حورية هاشم نوري): ليلة الحياة، مجموعة "دماء ودموع"، مطبعة الهلال، بغداد، ١٩٥٠.
٣. د. عبد الإله أحمد: الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧، ج١، ص١٧٩.
٤. سميرة المانع: السابقون واللاحقون، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
٥. د. سيار الجميل: موقع الدكتور سيار الجميل.
http://www.sayyaraljamil.com/Arabic/

موسيقى السبت

أصوات الغناء

ثائر صالح

الغناء هو أصل الموسيقى. إذ كان الصوت البشري هو أول الوسائل التي مكّنت الإنسان من إداء مجموعة من الأصوات يمكن أن تعتبر موسيقى، بالاضافة الى ما استعمل من أدوات لإصدار أصوات بالطرق أو القرع وهي أدوات الايقاع البدائية، مثل قرع خشبة مجوفة بعصا قوية أو بحجر. ثم ابتكرت الأدوات الموسيقية لاحقا لتساعد الإنسان على الغناء حتى استقلت ذاتها لتظهر الموسيقى "الصرفة" أو موسيقى الأدوات (Instrumental music) كما يجري التعبير عنه في الموسيقى الأوروبية، في مقابل الموسيقى الغنائية (Vocal music) التي يمكن أن تؤدى بمصاحبة الأدوات الموسيقية أو بدونها، أي الغناء الصرف. كان الغناء بصوت واحد (مونوفوني) وهو المميز للغناء العربي حتى اليوم، حتى ظهور التعدد الصوتي في الموسيقى الأوروبية (بوليفونية) في البداية في الموسيقى البيزنطية اليونانية بشكل بسيط. ظهر التعدد الصوتي الحقيقي في الموسيقى الأوروبية لاحقاً.

تقسم الأصوات الغنائية حسب طبقاتها إلى أصوات أساسية، هي حسب تنازل حدّة التردد، الأصوات النسائية: السوبرانو والمتسو سوبرانو (السوبرانو الوسيط) والآلتو. أما الأصوات الرجالية فهي التنور والباريتون والباص. وهناك أقسام فرعية لكل صوت من هذا الأصوات عموماً حسب طبيعة الصوت ولونه وقوته ، إذ توجد معايير مختلفة لتقسيم الصوت إلى أقسام فرعية، مثلا هناك صوت كولوراتورا (من كلمة اللون بالايطالية) يمكن أن نصف بها صوت السوبرانو أو الآلتو، وتدل على مرونة عالية في أداء النص الغنائي، وتعتبر الميتسوسوبرانو سيسيليا بارتولي من أشهر المغنيات كولوراتورا المعاصرات. وهناك صفة "الغنائي"، يمكن أن نستعمل كلمة الطروب العربية، فيقال عن صوت فلان أو فلانة أنه طروب، وهو صوت دافئ ورشيق وبرّاق عادة. وتطلق صفة الدرامي على بعض الأصوات التي تمتلك قوة كبيرة، من فروعه صوت التنور البطولي أو الباريتون البطولي، وهي أصوات استعملها فاغنر في أعماله المتأخرة.

استعمل المؤلفون كذلك الأطفال للغناء لعلو طبقتهم الصوتية في الاستعاضة عن الأصوات النسائية، لربما لاعتبارات دينية أو اجتماعية في البداية. ارتباطاً بهذا شاعت عادة تدريب الفتيان على الغناء وإخصاء بعضهم حتى لا يتغير صوتهم عند البلوغ، واستمرت هذه العادة حتى فترات متأخرة من القرن الثامن عشر (المدى عدد 13 شباط 2016، حلقة عن فارينلّي وهو أشهرهم). على العموم كان هناك على مدار القرون مغنون من الجنسين ممن مكنهم صوتهم من أداء طبقات صوتية يتميز بها الجنس الآخر، وهي طبقات كونترا آلتو (تقترب من صوت التنور الرجالي) وصوت كونترا تنور ويقابل طبقة كونترا آلتو النسائية، أو حتى متسوسوبرانو. كما ظهر في العقود الأخيرة عدد من المغنين كونتراتنور الذين طوروا تقنية خاصة في الغناء لأداء طبقة مرتفعة جداً هي مزيج بين الصوت عالي التردد وتقنية الغناء المسماة "فالسَتّو" التي تعني بالايطالية المزيف أو الكاذب. فأصبح من السهولة الحصول على تسجيلات يكون فيها صوت المغني أكثر ارتفاعاً في طبقته من صوت المغنية، على وجه الخصوص أثناء أداء موسيقى عصر الباروك. من أشهر هذه التسجيلات آريا من أحد أعمال هندل من قبل كونترآلتو هي ناتالي ستوتسمان وكونتراتنور هو فيليب جاروسكي.

في شارع المتنبي

زينب المشاط

الطُرُقات مُنطفئة، يُغلفها الصمت، والخجل يتعثر في مسيره نحو شارع المتنبي، الذي يشهد قطعا طويلاً لسبب مجهول لم يعرفه المارّة، كما أسهمت بإنطفاء بريقه الرياح التي تعصف بالمدينة صباح يوم الجمعة...

معرض تشكيلي

ورغم هذه السكينة التي غلبت على الشارع إلا انه شهد صباح يوم أمس أهم الجلسات وأغناها، فبين الانشطة الميدانية الطبية والانسانية والاجتماعية، والتوعوية، يشهد الشارع انشطة ثقافية مهمة جداً ....

أقام معرضه التشكيلي الاول على قاعة محمد غني حكمت، الفنان التشكيلي علاء سلمان سدخان، الذي أكد قائلاً "إن هذا معرضي الشخصي الاول،وقد شاركت في معارض متعددة سابقاً إلا اني لم اقيم معرضاً خاصاً بي."

وذكر سدخان" أنا أعمل ضمن العديد من المدارس الفنية، وقد قدمت في هذا المعرض المدرسة الواقعية، ومن هنا سأنطلق لتداول المدارس الاخرى في معارضي." وقدم الفنان التشكيلي ما يُقارب 20 لوحة خلال معرضه.

السينما والطفل

عن سينما الأطفال، قدم منتدى صدى السينما محاضرة خاصة عن سينما الاطفال وبرامجها على قاعة ألف ليلة وليلة، قدمها السينمائي الشاب فؤاد المصمم، وحاضر فيها الاكاديمي السينمائي د. صالح الصحن الذي شدد على أهمية الواقع السينمائي بالنسبة للاطفال، ذاكراً "أن هذا الجانب يجب أن تهتم به الدولة والاسرة فهو لا يُعنى بإحداهما دون الاخرى."

كما ذكر د.سالم شدهان قائلاً " إن اسلوب الأطفال في تقبل البرامج بدأ يختلف تماماً، اليوم صار الطفل منسلخاً عن برامجه البريئة والبسيطة، وبدا مُطلعاً على برامج مثل ولاية بطيخ." كما أشار شدهان إلى "اهمية دور المدرسة في توجيه وتوظيف اهتمامات التلاميذ، في أوروبا يستمر التلميذ في ساعات دوامه في المدرسة حتى المساء وذلك لتوظيف كل طاقاته تحت اشراف الاساتذة هذا ما نفتقر له القضية اليوم هي قضية دولة وليس توجيه أسري فحسب فنحن نفتقر لدور عرض وصالات سينما تليق بالطفل وتجذبه."

قيامة بغداد

ضيّف الملتقى الثقافي في شارع المتنبي ايضاً الروائية عالية طالب على قاعة الراحل جواد سليم، خلال جلسة وقعت فيها الروائية مجموعتها القصصية "حكايات الرمل" وروايتها قيامة بغداد، قدمت الجلسة الروائية ايناس البدران التي تحدثت عن جانب من سيرة عالية طالب، ذاكرةً أنها الروائية التي حددت أوقاتها دون انتظار أحد...

لم تشأ طالب الحديث عن نفسها طويلاً وتركت آراء النُقاد يتحدثون عن إصداراتها التي وقعتها في ختام الجلسة حيث ذكر الناقد بشير الحاجم "أن تكون وطنياً في الحياة الواقعية غير أن تكون وطنياً على الورق، أو في نص من نصوصك التي تكتبها، فالوطنية واقعاً هي أن تتشاجر أو أن يكون لديك هوس في الحياة أما في النص فيجب أن لا تشتغل بالحماس التعبوي."

وأضاف الحاجم " على المستوى العربي نعيش التعبويّات بشكل واضح أما على مستوى العراق فحدث ولا حرج، جميلة رواية عالية طالب التي بدأت منذ الاهداء والمتن بعلاقة واضحة بمضمون الرواية وهذا الذي يجب أن ننتبه له بشكل كبير ففي الرواية التي تشهد علاقة بين الاعداء والمتن ستكون هنالك مكملات لذلك في نص الرواية الداخلي."

مركز المتنبي الصغير

شهد مركز المتنبي الصغير محاضرات مستمرة للأطفال النازحين الذين عجزت المدارس عن احتضانهم، حيث فتح هذا المركز ابوابه لهم محاولاً تقديم العون لهم وتوعيتهم وتدريسهم بما هو اساسي، وقدم المركز محاضرة توعوية عن اهمية التغذية للطفل ، اضافة الى فعاليات وانشطة كالرسم والقصص والاعمال اليدوية.

وعن تاريخ المدينة وشأنها البشري والانساني قدمت قاعة نازك الملائكة محاضرة بعنوان " النكبات البشرية والطبيعية في بغداد بين عامي 1534 – 1921" للدكتور كمال رشيد الذي اشار بتاريخ المدينة ونهجها الانساني والبشري.

كما تضمنت باحة المركز الثقافي البغدادي مسابقات كثيرة، ومعارض فولكلورية وفنية ومتاحف مصغرة متنقلة اضافة الى معارض الكتب.